

إشكالية السلم بين الدين والفلسفة: دراسة مقارنة

د. احسن برامة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص

إن المجتمعات البشرية اليوم أحوج ما تكون إلى حياة إنسانية مسالمة وإيجابية على كافة المستويات والمجالات. وبعد أن أثبتت المرجعيات الدينية والفلسفية قصورها وإفلاسها في قيادة البشرية نحو السلم والرخاء بسبب ما صاغته من مفاهيم وأفكار ومبادئ خاطئة عن الكون والإنسان والحياة، جاءت العقيدة الإسلامية لتتناول الموضوع من معادلتها التوحيدية للكون والإنسان والحياة، فتؤسس بذلك لسلم حقيقي وواقعي.

الكلمات المفتاحية: السلم، المذاهب الفلسفية، اليهودية، المسيحية، العقيدة الإسلامية.

Abstract:

Nowadays, human societies need a peaceful and affirmative existence at all levels and in all fields. The religious and philosophical doctrines have proven their failure to bring humanity towards a peaceful life full of prosperity. Because of their false concepts, ideas and principles that had been written about the universe and human being as well as life. That's why, islamic belief has treated the subject from the equation of monotheism; for the establishment of a real peace.

Key words : Peace ; philosophical doctrines; Judaism ; Christianity ; Islamic Creed .

Résumé :

Aujourd'hui, plus que jamais, les sociétés humaines requièrent une vie humaine où règne la paix à tous les niveaux et dans tous les domaines. Différentes religions et doctrines philosophiques ont échoués à conduire l'humanité à une vie paisible et prospère, à cause des principes et des définitions erronées sur l'univers, l'homme et la vie. Par ailleurs, la doctrine islamique a abordé la question à partir d'une équation monothéiste de l'univers, de l'homme et de la vie, établissant ainsi une paix réelle et réaliste.

Mots clés : Paix ; Doctrines philosophiques ; Judaïsme ; Christianisme ; Doctrine islamique.

مقدمة

برزت في الفترة المعاصرة مجموعة من الموضوعات والمصطلحات والمفاهيم، احتلت صدارة الاهتمامات كقضية المساواة والعدالة والحرية والسلم.. الخ. والتي حظيت بنصيب كبير من النقاشات الفلسفية والدينية والسياسية والتاريخية.

وهذا السلم الإنساني سلم يحافظ على خصائص الإنسانية بفطرتها وطبيعتها دون مسخ أو تشويه، " فالإنسانية " في عمقها هي لقاء الإنسان بالإنسان وأخوة الإنسان للإنسان وتعاون الإنسان مع الإنسان، ولذلك جاءت عبارة "سلم إنساني" للدلالة على ذلك الاتجاه الذي يهدف للمحافظة على خصائص الإنسان فردا وجماعة.

جاء في لسان العرب لابن منظور في لفظة " سلم "، قوله: السلام والمسالمة: البراءة. وقال ابن الأعرابي: السلامة: العافية.

وكانت العرب في الجاهلية، يحيون بأن يقول أحدهم لصاحبه أنعم صباحا، وأبييت اللعن ويقولون سلام عليكم، فكانه علامة المسالمة وأنه لا حرب هنالك، ثم جاء الله بالإسلام فقصروا على السلام وأمروا بإفشاءه.

وقال أبو الهيثم : السلام والتحية معناها واحد ومعناها السلامة من جميع الآفات وقول الآخر:

عليك سلام الله قيس بت عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمها

والسَّلْم: الاستسلام، والتسالم: التصالح، والمسالمة: المصالحة وترك المصالحة الحرب⁽¹⁾.

وإذا كانت لفظة السلم واضحة الدلالة من جانبها اللغوي بما تحمله من دعوة للصلح وطلب للعافية والمحبة والتعاون... ليس عند عرب الجاهلية وفي صدر الإسلام فحسب، بل حتى عند الأمم السابقة غير عرب شبه الجزيرة، ففي العبارات العبرية والآرامية عبارات مرادفة لذلك، وهي " شالوم لكا " و" شلالاك " و" شلاماغلاق " والتي ترجع إلى ما جرى به الاستعمال في التوراة، فقد كانت مستعملة للتحية بين اليهود والنصارى، إلا أن ضبط مفهوم السلم كقيمة عليا في الحياة البشرية، ظل أمرا نسبيا بسبب كثرة المرجعيات وتداخلها في صياغة مفهوم صحيح للسلم، مما أفرز مضامين جزئية حينا ومنحرفة حينا آخر مما استدعى الكشف عن المفهوم الصحيح للسلم الإنساني من خلال المنظور العقدي الإسلامي.

ولمّا كانت قضية السلم تتحرك اليوم في أكثر من اتجاه، ولذلك فإنّ التأسيس العقدي المتميز للقضية هو التأسيس الذي استطاع إستيعاب جذورها الزمنية والفلسفية والكشف عن أصولها وحركيتها وأبعادها، ليبنى سلماً ينطلق من الفرد كوحدة تمّ يعود إليه كجماعة. وهو ما حاولت مختلف المرجعيات الدينية والفلسفية أن تبلغه أو تصل إليه. وإنّا في هذه الدراسة نحاول معرفة إسهام عدد من المرجعيات في قضية السلم. وإنّا ندرك أنّ هذا الجهد الذي بذلناه محدود، لأنّ الوسائل المنهجية المتاحة مازالت قاصرة، غير أنّنا نأمل أن يضاف إلى مجهودات سابقة، ويكمل بمجهودات لاحقة.

بعد هذه المقدّمة للموضوع، رأينا طرح عدد من التساؤلات العامّة، والتي سيكون تحليلها واستنتاج عدد من الحقائق منها هدفاً بحدّ ذاته، لأنّها تتعلّق بصلب موضوعنا، أي بتحديد مفهوم السلم في مختلف الأديان والفلسفات القديمة والحديثة. ولا اعتبارات منهجية محضة، فقد تناولنا عدداً من الديانات والفلسفات، نوجزها فيما يلي:

- 1- الديانات الفارسية القديمة: الزرادشتية، المانوية، المزدكية.
- 2- الديانة البوذية
- 3- الفلسفة اليونانية
- 4- الفلسفات الحديثة: الشيوعية، الوجودية، البرجماتية
- 5- الديانة اليهودية
- 6- الديانة المسيحية
- 7- الإسلام

أمّا عن تساؤلات الدراسة فهي:

- 1- ما هو مفهوم السلم في هذه الديانات والفلسفات؟
- 2- ما هي الأسس العقائدية للسلم في مختلف هذه الأديان والفلسفات؟
- 3- وهل السلم قيمة أصيلة في هذه الأديان والفلسفات؟

1- الديانات الفارسية القديمة:

تشترك الديانات القديمة عموماً في بلاد فارس وغيرها في الدعوة إلى الخلاص الإنساني من الألم والشر والظلم ... إلخ، وذلك وفق تصورات معينة للكون والإنسان والحياة، تتفق حيناً وتختلف حيناً آخر.

أ- الزرادشتية:

الزرداشتية هي إحدى هذه الأديان التي حاولت تخليص الجنس البشري من الشر وإنهاء حالة الصراع المستمر بين الخير والشر، وذلك وفق تصورها للكون والإنسان.

فقد اعتقد زرادشت أن الصراع قائم بين مجموعة من قوى الخير، وحدها في إله واحد هو "يزدان"، ومجموعة من قوى الشر وحدها في إله واحد هو "أهرمن"، وهما في نزاع دائم، ولكلّ من هذين الأصلين قدرة الخلق. فأصل الخير هو النور وقد خلق كلّ ما هو حسن ونافع، فخلق النظام والحق والحيوانات النافعة كالديك، ويجب على المؤمن أن يعتني بها، وأصل الشر هو الظلمة، وقد خلق كلّ ما هو شرّ في العالم، فخلق الحيوانات المفترسة والأفاعي والحشرات، وواجب المؤمن قتلها. والحرب بين هذين الروحين سجّال، ولكن الفوز النهائي لروح الخير، والناس في الحرب ينحازون إلى الروحين، فمنهم من ينصر "يزدان" ومنهم من ينصر "أهرمن"، والروحان لا يباشران الحرب بأنفسهما بل بمخلوقاتهما. والإنسان في حياته تتجاذبه القوتان، فإن هو اعتنق دين يزدان، وعمل عملاً صالحاً وطهّر بدنه ونفسه، فقد أخزى روح الشر، ونصر روح الخير واستحق الثواب، وإلاّ قوى روح الشر⁽²⁾.

يقول الشهرستاني يشرح ذلك: "وهما يتقاربان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص"⁽³⁾.

ومن أقوال زرادشت: "سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه "أشيزريكا" ومعناه: الرجل العالم، يزين العالم بالدين والعدل، ثم يظهر في زمانه "بتياره" فيوقع الآفة في أمره وملكه عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم، ويحيي العدل، ويميت الجور، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى، وتنتشر له الأمور، وينصر الدين والحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن"⁽⁴⁾.

وهذه الأقوال تدلّ على أنّ الزرادشتية تنشد السلام، وتجعله في نبوءاتها.

ويُتضح لنا ممّا سبق أنّ الأصل في الزرادشتية الحرب وليس السلم، لأنّ الحياة في هذه الديانة هي صراع بين الأصلين أو الإلهين.

غير أنّ التصور الزرادشتي للإنسان والحياة، كما يقول الدكتور مصطفى حلمي :

" قد غالى في تصوير مكانة الشيطان حيث صورته وإعطاء القدرة على خلق الحياة أوتدميرها. ولهذا وصف الأديب الإيطالي جوفاني بابيني ما فعله زرادشت بقوله: إن زرادشت هو أول من ارتفع في مستوى الشر في التاريخ وجعل الشيطان شريكاً في الخلق.

كما أنّه يجمّد حركة التغيير والإصلاح في الحياة، فدور الشيطان هو الوسوسة، في حين الفاعل الحقيقي هو الإنسان"⁽⁵⁾.

ب- المانوية⁽⁶⁾ :

إنّ هذا المذهب لا يخرج كثيرا عن تعاليم زرادشت، لكنّه يخالفه في أمر جوهري: وهو أن زرادشت كان يرى أن هذا العالم الحاضر عالم خير لما فيه من مظاهر نصرة الخير على الشر، في حين يرى ماني أن نفس الامتزاج شر يجب الخلاص منه⁽⁷⁾.

غير أن هذا الخلاص لا يتحقق إلا بالرهينة ولذلك حرّم النكاح حتّى يستعجل الفناء إلى الجنس البشري فدعا إلى الزهد وفرض صلوات كثيرة ونهى عن ذبح الحيوان. قال الشهرستاني:

"وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال كلها، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق، وترك الكذب، والقتل والسرقة، والزنا والبخل، والسحر، وعبادة الأوثان"⁽⁸⁾.

ونظرا لما تحمله تعاليم دعوته من خطر على مملكة فارس فقد كانت نهايته القتل على يد بهرام الأول. والخلاصة، أن السلم في المانوية يتحقق بالانصراف عن الحياة إلى الزهد والرهينة... ممّا جعلها تقف من الحياة موقفا سلبيا.

ج- المزدكية:

المزدكية⁽⁹⁾ تصور آخر للقضاء على الصراع بين بني البشر فلسفة وتطبيقا، فقد نادى بجملة من المبادئ ذات الطابع الاجتماعي التي رأت في انتهاجها تحقيقا للسلام العام بين بني البشر. قال الشهرستاني: "وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال أحلّ النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكأ، وحكي عنه أنه أمر بقتل النفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة"⁽¹⁰⁾.

2- الديانة البوذية:

إن فهم حقيقة السلم في البوذية يرتكز على فهم مبادئها الأساسية في تصور حقيقة الكون والإنسان والحياة. والإنسان في الديانة البوذية ليس إلا كائنا مركبا دائم التغير والتطور، وليس مخلوقا لغاية وإنما وجد نتيجة سوء تقدير. ولذلك كان عليه أن يصحح هذا الوجود بإلغاء هذا الوجود نفسه، عن طريق إذلال النفس وكبت الخواطر والأفكار والتحكم في الأحاسيس وقهر البدن والتخلي عن كل شيء حتى الرغبة في الحياة"⁽¹¹⁾. وإستنادا إلى هذا التصور العقدي للكون والإنسان والحياة حسب الفلسفة البوذية، فإن الخلاص الإنساني من هذه الآلام لا يتحقق إلا بالقضاء على أسباب الألم، ابتداء من معرفة أسباب الألم، وانتهاء برسم منهج سلوكي روحي لاجتثاث أسباب الألم.

والخلاصة أن السلم الإنساني حسب البوذية لا يتحقق إلا في الرهبانية التي تعتبرها تصحيحا للوجود الإنساني، فمن أقوال بودا "اعلموا أنّه كما تفقد الأنهار الكبيرة أسماءها عندما تصب في البحر فكذلك تبطل الطبقات عندما يدخل الشخص في النظام ويقبل الشريعة، ففي الرهينة يتساوى سائر البشر"⁽¹²⁾، غير أنّه ممّا يؤخذ على الفلسفة البوذية، كنموذج لحلّ المشكلة الإنسانية من أجل تحقيق الخلاص:

- 1- خلوها من العقيدة كأساس لإقامة بناء أخلاقي.
- 2- افتقارها لعناصر الإلزام أو وسائل الردع.
- 3- عدم قدرتها على احتواء جميع البشر إقناعا وسلوكا⁽¹³⁾.

3- الفلسفة اليونانية:

يعتبر موضوع السعادة هو المبحث الذي تتجلى من خلاله حقيقة السلم في الفلسفة اليونانية لأنها تمثل عند الفرد لحظة بلوغها وإدراكها الخير كل الخير لما تعكسه من الطمأنينة والسلام والسرور في أعماق الذات الفردية⁽¹⁴⁾.

وقد كان لفلاسفة اليونان آراء وإسهامات متنوعة في الموضوع:

- سقراط: إنّ مذهب سقراط الأخلاقي في الخير والسعادة مبني على نظريته الخاصة في المعرفة، بمحاولة بناء سلوك إنساني يقوم على المعرفة، التي هي طريق السعادة وبالتالي السلم.
- وهكذا نستنتج أن السلم الإنساني عند سقراط يتحقق بالمعرفة التي تبني الخير ومختلف الفضائل، بما فيها السلم كفضيلة من الفضائل الأخلاقية، في مقابل الجهل الذي يتسبب في ظهور مختلف أنواع الشرور والمظالم والردائل .. وعليه فالمعرفة عنده هي المبدأ الأساسي لبناء سلم إنساني حقيقي ولا سلم خارج المعرفة.
- أفلاطون: إنّ السلم الإنساني عند أفلاطون يتحقق بالعدالة والاقتراب من الله قدر المستطاع، حيث يقول الدكتور محمد بيبصار: «يرى أفلاطون أن الخير المطلق هو الله، باعتبار أنه مثال الكمال والجمال والواجب، إنما يكون في اقترابنا منه بقدر المستطاع، وما الفضيلة إلا التشبه به»⁽¹⁵⁾.
- أرسطو: يتضح أن تحصيل السلم عند أرسطو يتحقق بالتزام الوسطية خطأ مستقيما في السلوك الإنساني.
- الرواقيون: يتبين أن السلم الإنساني في الفلسفة الرواقية يتحقق في قدرة الإنسان على التحرر من الأوهام والخواطر التي تصنع الشقاء والأحزان من خلال الالتزام بقوانين العقل التي هي في الحقيقة قوانين الطبيعة، ليحصل بذلك الانسجام والسعادة.
- الأبيقورية: إنّ فلسفتهم لموضوع السلم لا تخرج عن مبدأ اللذة كخط أساسي. والتي بتحصيلها تتحقق الطمأنينة والسلم على مستوى الفرد والجماعة، وبانعدام تحصيلها يحدث الألم والشقاء... الخ.

غير أن الأبيقورية بإقرارها مقياس اللذة أساسا غاية للعمل الأخلاقي تقصي بذلك مقاييس أخرى للعمل الأخلاقي، كمقياس الواجب ومقياس الفضيلة. إضافة إلى كونها لا تقدم جوابا حول الكيفية التي يتم بواسطتها ضمان استمرار السعادة، وسط سعي وصراع الأفراد إلى تحقيق لذاتهم المختلفة.

4- المدارس الفلسفية الحديثة:

أ- الشيوعية: تعتقد أن أشكال العلاقات الاجتماعية تابعة لأشكال الإنتاج. وكل شكل من أشكال الإنتاج يتطلب شكلا خاصا من العلاقات الاجتماعية. فمجموع علاقات الإنتاج، تكوّن التركيب الاقتصادي للمجتمع. فليس وعي البشر هو الذي يحدد كياناتهم بل على العكس فكيناهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم.

وعليه فإن الاستقرار والسلم الإنساني يمر أساسا عبر تحقيق حياة اقتصادية تقوم على المساواة المطلقة بين أفراد المجتمع. " لتكون الشيوعية في نظر أصحابها هي النظام الأخير للبشرية .. أي أنها النظام النهائي الذي ليس له في ذاته نهاية" (16)

والتأمل في طبيعة السلم الذي تبنيه الشيوعية باسم الفلسفة يجده سلما يحمل بذور انفجاره. ففي الوقت الذي تدعي فيه إزالة الغبن والظلم عن المجتمع الإنساني، نجدها تدعو باسم الإنسانية إلى تمزيق البشرية وتشريد الأفراد " حيث يجب تحطيم الأسرة والقضاء عليها لأنها دعامة النظام البرجوازي" (17) وإثارة العداوات والأحقاد والثورة على الملكية الفردية ... في الوقت الذي تكفر فيه بالله وبالدين وتسخر من رجاله بدعوى حرية الإنسان. وهكذا يتضح أن السلم الإنساني في الشيوعية لا يتحقق إلا في إطاره المادي المناهض للدين والروح والأخلاق.

ب- الوجودية:

إن السلم الإنساني حسب الوجودية، لا يمكن أن يتحقق خارج ذوات الأفراد وإنما على الفرد أن يحقق ذاته وأن يجد ذاته وأن ينفذ ذاته بنفسه، وذلك من خلال إنتهاج الحرية مقياسا وحيدا في تقييم القيم والحقائق.

غير أن نموذج السلم الإنساني كما تعرضه الفلسفة الوجودية بدعوتها إلى الحرية المطلقة وتلبية نداء الشهوات والغرائز.. يشكل في الحقيقة دعوة إلى الفوضى السلوكية والحياتية التي لا تتقيد بقانون أو بأخلاق.

ج- البراغماتية:

يرى وليم جيمس أن للإنسان الحق في اعتقاده ما يراه مفيدا له في حياته وسلوكه وحقه في الإيمان ببعض الفروض في الدين والأخلاق إذا كانت هذه الفروض مفيدة وليست ميتة، ليربط بذلك بين الحقيقة من جهة والذاتية والنفعية والفردية من جهة أخرى.

وعليه فالسلم الإنساني حسب البراغماتية يرتبط بمبدأ المنفعة العملية، لما تحققه لنفوسنا من الطمأنينة والسعادة. فالعمل وحده هو مقياس الحقيقة، فالفكرة تكون صادقة عندما تكون نافعة وتكون كاذبة عندما تكون ضارة، والفرد في ذلك غير مسؤول أمام أحد خارج ضميره أو قانون دولته.

5- الديانة اليهودية:

إن مفهوم السلم في الديانة اليهودية، مفهوم منحرف يعبر عن نفسية مريضة متعطشة للانتقام وسفك الدماء ... فتعاليمها الدينية تأمر بالقتل والعداء والكراهية كمطالب دينية مقدسة يقربون بها إلى الرب.

ففي سفر التثنية " حين تقترب من مدينة كي تحاربها إستدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فكل مولود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، هذا إذا سلمت المدينة ولم تحارب. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ... فإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فهو غنيمتك تغتنيها لنفسك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا. وأما هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيبا فلا تستبق منهم نسمة فضربا بحد السيف... تجمع كل أمتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار." (18). وفي سفر الخروج « هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وأرجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل » (19). وفي سفر التثنية " متى أتى بك الرب إليك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتملكها وطرد شعوب كثيرة من أمامك ودفعهم الرب إليك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم (تقتلهم)" (20).

وفي صموئيل الأول " هكذا يقول رب الجنود ... فالآن إذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة طفلا ورضيعا وغنما وجملا وحمارا ... " (21).

وفي سفر يشوع " وأخذوا المدينة وقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها " (22).

وفي الاصحاح الثامن من سفر يشوع " ولما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان " عاي " في الحقل في البرية حيث لحقهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء إثني عشر ألف جميع أهل " على " (23).

وبناء على ما سبق فإن السلم الحقيقي لا يتحقق إلا يوم يستعيد فيه شعب إسرائيل مجده ومكانته يوم يظهر المسيح المخلص الذي سوف يفدي شعب إسرائيل وينقذه من عذاب المنفى حيث يقودهم إلى معركة كبرى تكون آخر صدام مسلح على ظهر الأرض، ليعود بهم إلى أورشليم فيفرض منها حكم السلم على كل أمم الأرض" (24).

والخلاصة أن تلك التعاليم الدينية التي توصي بحرب الإبادة والاستئصال وتنفذ في التخريب ... على أنها قربات يطلبون بها رضوان الرب. لا تكشف عن القسوة والوحشية في هذه التعاليم فقط ، بل تكشف أيضا عن المفهوم العنصري للسلام الإنساني.

فلا وجود إذن لسلام إنساني خارج العنصر اليهودي. وخارج المفهوم اليهودي وخارج القيادة اليهودية.

6- الديانة المسيحية:

إن حقيقة السلام الإنساني في المعتقد المسيحي إنما تتجلى بوضوح في الاعتقاد بالحاجة إلى المخلص والخلص الذي يعني تنقية الشعب وتطهير المجتمع مما شابه من خبث... وفي إطار هذا الاعتقاد ينقل الأستاذ محمد عزت الطهطاوي من رسائل بولس: " ومخلصنا يسوع المسيح".

وفي إنجيل يوحنا " لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم " (25) وعلى ضوء هذا المعتقد فالخلاص والسلام قد تحقق لجميع البشر منذ أن قام المسيح ليتحمل أخطاء البشر وذنوبهم ليضحي من أجلهم.

ففي رسالة بطرس الرسول قوله عن المسيح "أن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، فمع انه هو البار ، فقد تألم من أجلنا نحن المذنبين، لكي يقربنا إلى الله فمات ثم عاد حيا في الروح الذي هو فيه أيضا ويستخلص النصارى من القول السابق بأن المسيح أتى ومات ثم قام وخلص أهل العالم ونجى جميع الأمم " (26).

وهذا الاعتقاد لمفهوم خلاص يثير بعض الاشكاليات أهمها :

1-كيف يخلص المسيح أمما كانت على غير عقيدته كالمجوس وعباد النار واليهود الذين تأمروا على قتله.

2- ما مسؤولية باقي البشر عن أعمالهم داخل المجتمع ما دام المسيح قد حررهم من العقاب الرباني؟ وما وظيفتهم في هذه الحالة؟

والخلاصة أن مفهوم السلام كما تعرضه المسيحية يتردد بين الإيمان بالمحبة والتسامح ... والإيمان بالمخلص وبين هذا وذاك فإن النموذج الذي تقدمه المسيحية للسلام الإنساني نموذج مثالي أبعد عن الواقعية، لافتقادها إلى عنصر التشريع لأن التشريع هو الضمانة الثانية لتحقيق السلام. حتى لا تنتهي الحياة إلى قسمة بين الله وقيصر.

7- السلام في العقيدة الإسلامية:

أ- مفهوم السلام في العقيدة الإسلامية:

إن ضبط مفهوم السلام الإنساني كما تريده العقيدة الإسلامية، لا يتأتى إلا بمعرفة طبيعية القضايا التي أصر القرآن الكريم على حسمها نهائيا، لإجتناب عوامل الصراع من جذورها سواء أكانت نفسية أو فكرية أو اجتماعية بمختلف صورها وأشكالها ليسود الخير والسلام فوق سطح الأرض.

لقد حرص القرآن الكريم منذ آيات نزوله الأولى على العناية بمسألة الألوهية ومقتضيات لتوحيد وإثبات الرسالة والتأكيد على جود حياة بعد الموت وما فيها من حساب وجزاء. وهو بذلك يشرح معالم المفهوم الحقيقي للسلام الإنساني من خلال تغيير مجال التصور كمنطلق أساسي لإصلاح باقي الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، والاقتصادية، والسياسية، "لأن الدعوة إلى العقيدة، هي في نفس الوقت دعوة إلى ما يستلزمه الاجتماع الإنساني من مساهمات عملية تدعم بقاءه وتحفظ كيانه وتؤله لخدمة أفراده وتمكنه من القيام بدوره الحضاري بصورة إيجابية.

وإذا كان القرآن الكريم منذ أيامه الأولى قد هاجم مظاهر الانحراف في المجتمع ولم يرض بالتعايش أو التصالح معها، فتفسير ذلك مرده إلى أن عنايته بالعقيدة هي عناية بالخطوة الاجتماعية الجديدة التي يريد إدخالها إلى حيز الوجود الواقعي " (27) ، وعليه كانت الدعوة إلى التوحيد، دعوة إلى منهج حياة كامل لا يتجزأ أو لا يقبل التجزئة.

ولهذا دعا القرآن الكريم المجتمع الإنساني إلى:

1- أن تقوم أصرة التجمع الإنساني على أصرة العقيدة بما تفرضه من أخوة وتعاون وتراحم...

لبناء وحدة إنسانية تتجه للتعارف لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (28)

2- الدعوة إلى استعلاء الإنسان على المادة والشهوات والغرائز بتحرره من العبودية للمال أو للهوى أو للتقاليد.... قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) (29) وقال أيضا : (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) (30)

فيتحرر بذلك من رواسب الضلالات والأنانيات والشهوات، فيتحرك حينئذ وحينئذ فقط في خط الخلافة والتعمير.

3-الدعوة إلى سيادة قيم التوحيد في الحياة بما تتملكه من شمولية وواقعية وعمق بإعادة الاعتبار للإنسان كخليفة في الأرض ... وتقرير مبادئ الحرية الفردية والعدالة والشورى ... في مقابلة تلك الفلسفات التي تسخر من القيم الإنسانية ... وتلك الحضارت التي تريد أن تصيره حيوانا أو آلة.

إلا أن الدارس للقرآن الكريم يدرك أن مهمته لم تقتصر على بيان العقيدة وتنظيفها مما قد تراكم عليها عبر الزمان من الخرافات والضلالات والوثنيات ... ليكون مجرد عقيدة مجردة وأفكار مثالية ؟ تدفع البعض إلى الاعتقاد أنه دين إنسحب من ساحة المعركة الإنسانية ليتفرغ لإيضاح حقيقة أزلية كونية، بعيدا عن ضجيج معركة الحياة بتناقضاتها وصراعاتها.

وعليه كان الاهتمام بالإنسان فردا وجماعة من الاهتمامات الأساسية للقرآن الكريم بعد حسم موضوع التوحيد، لأن رسالة التوحيد لا تتحرك ضمن فراغ وإنما تتحرك داخل إطار اجتماعي بمختلف أبعاده وخصوصياته ...

يقول مالك بن نبي:

" إذا نظرنا إلى مشكلات المجتمع الإنساني وحاولنا التفكير لإيجاد حل لها، فإن الحل لن يخرج عن أحد طريقتين:

فالمشكلة واحدة ولكنها متصورة بمستويين، أو في نطاقين مختلفين: نطاق النفس الإنسانية من ناحية، ونطاق الزمن الاجتماعي من ناحية أخرى.

وهذا التعادل هو الذي ترجم عنه مؤرخ مثل جيزو حين قال: على ما ذكرناه سابقا أن مشكلة التاريخ يمكن أن تتصور بطريقتين، فإما أن نحلها في نفس الفرد ذاته، ناظرين إلى ما يغير ذاته الإنسانية، وإما أن نحلها في نطاق ما يحيط به ناظرين إلى ما يغير إطاره الاجتماعي⁽³¹⁾.

ونحن إذا تأملنا منهج العقيدة الإسلامية وجدناه يمس الجانبين في العمق، إذ تتجه إلى معالجة الفرد وإعادة بناءه بناء شاملا يمس جميع كيانه ومشاعره وسلوكه... كما تتجه إلى إعادة بناء العلاقات الاجتماعية، بناء متماسكا وذلك وفق تعاليم وتوجيهات العقيدة الإسلامية، لإنقاذ الإنسان والإنسانية من الضياع والانهيار ويقول محمد التومي:

" إن من يقرأ القرآن ويجيل النظر في ثانيا مقاماته ويحاول قدر الطاقة أن يفهم منطوق آياته ومفهومها ولو لم يكن من المؤمنين به، فإن الأمانة، تجعله يتبين انه كتاب مهتم بحياة الناس، ومعالجة ما يحدث لهم من قضايا تتعلق بمصالحهم وشؤون حياتهم الاجتماعية وما يتطلبه اجتماعهم من مشاركات وجدانية، ومعاملات أساسية، تضطره إلى أن يلاحظ أنه كتاب نزل إلى البشر يخاطبهم مباشرة ويتحدث إليهم عن قرب ويدعوهم إلى إصلاح أنفسهم وإصلاح مجتمعهم ويطالبهم بالاعتناء مما حدث للأمم السابقة ويدفعهم إلى النظر في الأنفس والأفاق ويحرضهم على طلب العلم، ويحفزهم إلى حياة العبادة والعمل والنضال وحياة الحرب والسلام وحياة البيت والجوار والشارع والسوق والحقل والمعمل " (32)

لقد نزل القرآن بقوة وبعث لتنظيم وإدارة الحياة الإنسانية، فلم يترك الإنسان فريسة لأهواءه وشهواته فزوده بنور العقل وتفضل عليه بالتوجيه والرقابة الربانية، كما رفض تقسيم الحياة على غرار المسيحية، فلم يرض أن تنشأ العقيدة في جانب ويحيا المجتمع الإنساني في جانب آخر. "وإذا تأملنا فحوى المقولة التي كانت ترددها المعارضة في قريش قصد تأليب الرأي العام وحشده ضد الدعوة الجديدة من كونه" يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، أدركنا أن القرآن لم يكن يريد شكلا من أشكال التغيير الاجتماعي الذي يكتفي بملامسة السطح، بل كان يهدف إلى اقتلاع جذور ذلك المجتمع الجاهلي، فيما وقع فيه من مظاهر الانحلال والتفكك..." (33)

ويظهر ذلك من خلال :

1- اهتمام سور كثيرة من القرآن الكريم بمعالجة المجتمع الإنساني، وتأهيله ليكون نموذجا للإنسانية الطائفة. فسورة العصر مثلا: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) (34)

وهي سورة قيل فيها، لو لم ينزل من القرآن إلا هي لأغنت. فهذه السورة على وجازتها لخصت عواقب النشاط الإنساني كله على امتداد الزمان والمكان وأنه لن ينجو من الخسر والضياع والإفلاس.... إلا بالتمسك بالإيمان والصلاح والحق والصبر. وهي بذلك ترسم المنهج من أجل مهمة إنسانية راشدة.

فإذا ما انتقلنا إلى سورة " الماعون " نراه يربط الجانب الاعتقادي بالجانب الاجتماعي في قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (35)

فكانت بذلك حربا على ذلك التدين الذي لا روح فيه الذي يقتصر على مجرد حركات ظاهرة ...

2- المجتمعات الإنسانية، هي موضوع القصص القرآني، وهي المقصودة بالدعوات، فالأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا في فراغ ولا إلى شتات ...

وإذا تتبعنا محتوى القصص القرآني وجدناه إتخذ من المجتمعات الإنسانية، مادة وموضوعا له، لقوله تعالى: (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا) (36)

والجدير بالاعتبار هو بيان ذلك الارتباط بين الأسباب والمسببات وذلك الاتصال بين نهاية تلك الأقوام وعلاقة ذلك بمنهج حياتهم. قال تعالى: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (37)

والغرض من إيراد الأنبياء المتعلقة بتلك الأقوام: هو الاعتناء والاعتبار والاقتداء.....

وبناء على هذه النظرة الكلية الشاملة ... نجد الآيات القرآنية التي تناولت موضوع السلم الإنساني، ربطت مفهوم السلم بـ : الإسلام ، الإنسانية وما يتصل بالجهاد

1-الإسلام : وهذا ما يتضح في قوله تعالى : (قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (38)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (39)

(سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ وَامْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (40)

وهذه الآيات ربطت السلم الإنساني بالإسلام، فلا سلم خارج الإسلام.

2-الإنسانية : لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (41)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)⁽⁴²⁾

وفي إقرار مبدأ التعارف دعوة للحوار والسلم عوض الصراع والتباغض ... وفي بيان مقياس التفاضل بين البشر " التقوى " إلغاء للمقاييس الأخرى.

3- كما يتصل بالجهاد : كقوله تعالى: (الْآلِ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)⁽⁴³⁾

(فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)⁽⁴⁴⁾

وهذه الآيات توضح عدة حقائق منها :

- طبيعة المسالمة في الإسلام وأنه ليس ديناً جاء لسفك الدماء " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها "

- إضفاء طابع التمايز العقدي التوحيدي والخلقي والروحي " وأنتم الأعلون " على معاهدات السلم .. حتى لا يكون السلم " استسلاماً " على حساب الحقائق الأزلية الخالدة.

وبعد هذا كله نخلص إلى تقرير الاستنتاجات الآتية فيما يتعلق بمفهوم السلم في إطار العقيدة الإسلامية :

1- إذا كان مفهوم السلم قد أخذ في بعض المذاهب والفلسفات طابعاً مادياً أو عنصرياً ... فإنه في العقيدة الإسلامية قد أخذ طابعاً وبعداً ومضموناً دينياً توحيدياً في إطار معادلة الكون والإنسان والحياة.

2- إن تركيز العقيدة الإسلامية على أهمية العنصر الديني في بناء سلم إنساني ناجح، مرده إلى كونه أقدم عنصر بدأت به حياة الإنسان، فالإنسان حيوان متدين والتجربة الدينية هي أقدم التجارب.

زيادة على أن خصوصية التجربة الدينية تكمن في إنفاقها مع وقائع التجربة النفسية، وقدرتها على الغوص ولمس أعماق النفس الإنسانية، وتحريكها ...

3- كل تجزئة للتوحيد كإسناد الحاكمية والتشريع لغير الله هو انحراف بالإنسانية من خط السلم إلى عالم الفوضى والضياع الأخلاقي والاجتماعي ...⁽⁴⁵⁾

4- إذا كان السلم لا ينشأ من فراغ ... فإنه لا يتحقق أجزاء وتفاريق ... ولذلك كانت العقيدة لإسلامية تبني سلماً حقيقياً يرتكز على تصحيح العقيدة كقاعدة لإصلاح السلوك ...

5- إن إيمان العقيدة بسلم شامل جعلها تتدرج في بناءه من سلم الضمير إلى سلم البيت إلى سلم الشارع إلى سلم المجتمع إلى سلم عالمي. حتى يكون سلماً إنسانياً صلباً متيناً لا هشاً ليناً.

6- إن تركيز العقيدة الإسلامية على الفرد والضمير سببه أن الحروب والسلام تبني أولاً قبل كل شيء في ضمائر الأفراد قبل أن تبنيها الأمم والشعوب.

7- التأكيد الإسلامي على أهمية عنصر الوحدة الإنسانية بين بني البشر لأنه الأساس الوحيد القادر على إيجاد جو من الانسجام العاطفي والروحي، وبدون هذا الأساس لن تكون المجتمعات البشرية إلا عرضة للانقسام والتطاحن والفتن ... تحت ضغط العصبية والأهواء

8- الحرص على قدسية القانون الأخلاقي لأنه كلما اهتز القانون الأخلاقي، اهتزت معه شبكة العلاقات الاجتماعية وتمزقت ... لأنه الموجه الرئيسي لكل نشاط إنساني.

9- ارتباط وجود السلم واستمراره بمدى التقيد واحترام خصائص الفطرة وقوانين الكون والإنسان والحياة، وعليه كانت كل محاولة للقفز فوق حقائق الفطرة وقوانين الطبيعة، اعتداء على الإنسان والحياة وإعلان للتمرد الذي يؤدي إلى نتائج خطيرة انعكست على مصير الوجود البشري ووجود الحياة نفسها.

وتجارب الاستتساخ على الحيوان والإنسان ؟ ! ومرض جنون البقر وثقب الأوزون .. الخ كلها أمثلة لهذا الانحراف عن الفطرة.

10- إن دعوة القرآن إلى جملة من التوجيهات الأخلاقية، والاجتماعية والنفسية والسياسية ... كالدعوة إلى العدل والتقوى والشورى .. والزواج والعمل .. الخ. والنهي عن الظلم والفسق والفواحش والربا... الخ، تشكل جدار الحماية من الانهيار الفردي والجماعي، لأن تلك التوجيهات تعبر عن تحرير حقيقي من كافة أشكال العبوديات لغير الله كالعبودية للشيطان والأشخاص والمال والتقاليد ... الخ⁽⁴⁶⁾

11- إن مصطلح " حوار الحضارات "⁽⁴⁷⁾ مبدأ قرآني أصيل دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)⁽⁴⁸⁾

مبدأ التعارف يقتضي استخدام الكلمة والعقل، لا الحجارة والقوة.

ب- مبادئ السلم الإنساني من خلال العقيدة الإسلامية:

لم تكف العقيدة الإسلامية بالدعوة إلى السلم كما توضح ذلك الكثير من نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . بل لقد أرست إلى جانب ذلك عدداً من المبادئ والقواعد التي بإعدامها أو فقدانها تضطرب الحياة الإنسانية لتصبح عرضة للفتن والحروب والأحقاد والحسابات الفردية والجماعية .. وهي بهذه المبادئ تعيد بناء شبكة العلاقات الإنسانية بناءً جديداً متميزاً في أهدافه وأبعاده، ومن هذه المبادئ نذكر :

1- إقراراً مبدأ التعارف بين بني البشر
لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)⁽⁴⁹⁾

ومبدأ التعارف يستأصل دوافع التباغض والتصارع والتحاسد ... بما يرسخه من قيم التراحم والتعاطف ووحدة المشاعر والأحاسيس .. فمن مقتضيات هذه العلاقة تبادل المصالح وتقوية الصلات الإنسانية والإخاء العالمي .

2- إحترام الإنسان من حيث هو إنسان

لقد احترم الإسلام الإنسان وكرمه من حيث هو إنسان بغض النظر عن دينه وجنسه ووطنه ولونه... قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)⁵⁰ وهذا التكريم يقتضي الحفاظ على جميع حقوق الإنسان، إنساناً مع روح السماحة في الإسلام . ومن ثمار هذا التقدير للإنسان والاعتراف بحقوقه في الحياة والتعبير ... أن يرفع البغضاء من النفوس لتحل محلها الرحمة والود والتعارف ...

3- حرية الاعتقاد

لقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)⁵¹ و قال أيضاً: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)⁵² ولم تكن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه مبلغ عن الله . قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)⁵³ . والإسلام لا يقر مبدأ حرية الاعتقاد فحسب " لا إكراه في الدين " بل يؤكد إقرار هذا المبدأ عن طريق التعليل " قد تبين الرشد من الغي " .

وهذا التعليل هو في واقع الأمر تحديد لإطار حرية الاعتقاد للإنسان. وكأن القرآن بهذا النص يريد أن يقول: إن حرية الإنسان في الاعتقاد أمر مفروغ منه ولا جدال فيه ... وإنما الأمر هو أن هذه الحرية في الاعتقاد هي ما ترسمه خطوط الهداية نحو الحق واليقين في المعرفة بالألوهية ونحو السلوك المهدب في الحياة العملية⁵⁴.

4- حرية التفكير والتعبير

يقول الشيخ محمد الغزالي:

« أ- لكل شخص أن يفكر ويعبر عن فكره ومعتقده دون تدخل أو مصادرة من أحد مادام يلتزم الحدود العامة التي أقرتها الشريعة، ولا يجوز إذاعة الباطل ولا نشر ما فيه من ترويج للفاحشة أو تخذيل للأمة. لقوله تعالى: (لَيْسَ لِمَنْ يَنْتَهَى الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقْتَهُمْ تَفْتِيلًا)⁵⁵ .

ب- التفكير الحر بحثاً عن الحق ليس مجرد حق فحسب، بل هو واجب كذلك، لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خُفٍّ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ خُلُوفٍ مُنْقَلَبَةٍ)⁵⁶ .

ج- من حق كل فرد ومن واجبه أن يعلن رفضه للظلم وإنكاره له وأن يقاومه دون تهيب وهذا أفضل الجهاد. فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر.

د- لا حظر على نشر المعلومات والحقائق الصحيحة إلا ما يكون في نشره خطر على أمن المجتمع والدولة. قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)⁵⁷

هـ- احترام مشاعر المخالفين في الدين فلا يجوز لأحد أن يسخر من معتقدات غيره ولا أن يستعدي المجتمع عليه. لقوله تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)⁵⁸ «⁵⁹

4- التزام مبدأ المساواة والعدل

الناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء: « كلكم لأدام وأدم من تراب »⁶⁰ و« لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى »⁶¹ .

وكل فكر أو تشريع أو وضع يسوِّغ التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة أو الدين هو مصادرة مباشرة لهذا المبدأ الإسلامي كله⁶².

وبجانب المساواة تحرص العقيدة الإسلامية للمحافظة على حقوق الناس ودمائهم وأعراضهم وأموالهم وحررياتهم وكراماتهم، وذلك بإشاعة مبدأ العدالة. قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)⁶³

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي الدعامة الأساسية التي يركز عليها صرح الأخلاق في المجتمع، ولأهمية الدور الذي يلعبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أمن وسلامة المجتمع دعا القرآن الكريم إلى ضرورة إيجاد طائفة تتولى هذه المهمة، قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)⁶⁴.

7- الدعوة إلى الالتزام الأخلاقي التعبدية:

لقد دعا القرآن الكريم إلى منظومة أخلاقية تقوم على الأخوة والتعاون والمحبة ونبذ التعصب والفرقة والخيانة .. الخ. قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا)⁶⁵، وقوله: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا)⁶⁶. وقال عليه الصلاة والسلام: « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية »⁶⁷.

وفي بيان أهمية العبادات في تغيير سلوك الفرد نحو الخير، قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)⁶⁸. وهكذا تتظافر التوجيهات الأخلاقية، مع غايات العبادات وأهدافها لإصلاح وضبط وتوجيه سلوك الإنسان بما يتفق وأهداف العقيدة الكبرى في الحياة .

ولما كان حصر هذه المبادئ من الإتساع بمكان، فإن السلم الإنساني لا يتحقق إلا بالمحافظة على حقوق الإنسان على تنوعها وتشعبها، حيث اعتبرت نصوص القرآن الكريم كل اعتداء على هذه المبادئ إنما هو اعتداء في الحقيقة على الإنسانية في سعيها نحو السلم والازدهار.

- ¹ ابن منظور، لسان العرب المحيط، المجلد 2، دار لسان العرب، بيروت، دت، ص: 190.191.
- ² أحمد، أمين، فجر الإسلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979، ص: 101.
- ³ الشهرستاني، أبي الفتح محمد، الملل والنحل، ط.4، دار المعرفة، بيروت، 1995، ص: 283.
- ⁴ الشهرستاني، أبي الفتح محمد. المرجع السابق، ص: 284-285.
- ⁵ مصطفى، حلمي، الإسلام والأديان، ط.1، دار الدعوة، الاسكندرية، 1990. ص: 119.
- ⁶ المانوية نسبة إلى ماني (215 م -).
- ⁷ أحمد، أمين، المرجع السابق، ص: 105.
- ⁸ الشهرستاني، أبي الفتح محمد. المرجع السابق، ص: 293.
- ⁹ المزدكية نسبة إلى مزدك (487 م -).
- ¹⁰ الشهرستاني، أبي الفتح محمد. المرجع السابق، ص: 295.
- ¹¹ مهدي، فضل الله آراء نقدية في مشكلات الدين والفلسفة و المنطق، ط.1، دار الأندلس، بيروت، 1981، ص: 174، 175.
- ¹² أحمد، شلبي، أديان الهند الكبرى، ط 8، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1986، ص: 179.
- ¹³ مصطفى، حلمي، المرجع السابق، ص: 93-94.
- ¹⁴ مهدي، فضل الله، المرجع السابق، ص: 181.
- ¹⁵ محمد، بيسار، العقيدة والأخلاق، ط. 4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص: 266.
- ¹⁶ محمد، قطب، في النفس والمجتمع، دار الشروق، القاهرة، 1973، ص: 174.
- ¹⁷ أنور، الجندي، الإسلام والعالم المعاصر، ط.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص: 438.
- ¹⁸ الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح 20 : 10. 17، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، [دم]، 1977. ص: 311.
- ¹⁹ المصدر نفسه سفر الخروج. الإصحاح 32: 26. ص: 29.
- ²⁰ المصدر نفسه سفر التثنية. الإصحاح 7: 1. 2. ص: 290.
- ²¹ المصدر نفسه صموئيل الأول. الإصحاح: 15 : 2. 3. ص: 450.
- ²² المصدر نفسه سفر يشوع. الإصحاح: 6. ص: 345.
- ²³ المصدر نفسه سفر يشوع. الإصحاح: 8. ص: 349.
- ²⁴ شفيق، مقار، المسيحية والتوراة، ط.1، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، 1996، ص: 38.
- ²⁵ محمد عزت، الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ط.1، دار القلم، بيروت، 1995، ص: 255.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص: 258.
- ²⁷ محمد، التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، 1990، ص: 36-37.
- ²⁸ سورة الحجرات: الآية 13.
- ²⁹ سورة الفرقان: الآية 43.
- ³⁰ سورة الأنبياء: الآية 53.
- ³¹ مالك بن نبي. ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، دار الفكر، دمشق، 1986، ص: 69.
- ³² محمد، التومي، المرجع السابق، ص: 17-18.
- ³³ محمد، التومي، المرجع نفسه، ص: 19.
- ³⁴ سورة العصر: الآيات من 1 إلى 3.

- ³⁵ سورة الماعون: الآيات من 1 إلى 7
- ³⁶ سورة الأعراف: الآية 101.
- ³⁷ سورة العنكبوت : الآية 40 .
- ³⁸ سورة الأنعام : الآية 14.
- ³⁹ سورة البقرة : الآية 208 .
- ⁴⁰ سورة يس : الآية 58 إلى 61 .
- ⁴¹ سورة النساء : الآية 1
- ⁴² سورة الحجرات: الآية 13.
- ⁴³ سورة النساء : الآية 90.
- ⁴⁴ سورة محمد : الآية 35 .
- ⁴⁵ أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور. مؤسسة الرسالة. بيروت، 1969. ص. ص: 19-23.
- ⁴⁶ سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، ط5، دار الشروق، القاهرة، 1970، ص ص: 13-29.
- ⁴⁷ حوار الحضارات: ويعني التعاون النزيه بين مختلف الشعوب (روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ط3، منشورات عويدات، بيروت، 1986. ص: 283)
- ⁴⁸ سورة الحجرات: الآية 13.
- ⁴⁹ سورة الحجرات: الآية 13
- ⁵⁰ سورة الإسراء: الآية 70
- ⁵¹ سورة البقرة : الآية 256 .
- ⁵² سورة يونس : الآية 99 .
- ⁵³ سورة الأحزاب : الآيات 45-46.
- ⁵⁴ محمد البهي، الدين والحضارة الإنسانية، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، [د.ت.]، ص ص: 166-167 .
- ⁵⁵ سورة الأحزاب: الآيات: 60-61 .
- ⁵⁶ سورة سبأ : الآية 46.
- ⁵⁷ سورة النساء : الآية 83 .
- ⁵⁸ سورة الأنعام: الآية 108
- ⁵⁹ الغزالي، محمد، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار المعرفة الجزائر، ص ص: 178-179
- ⁶⁰ من خطبة حجة الوداع.
- ⁶¹ من خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم.
- ⁶² الغزالي، محمد . المرجع السابق . ص: 175 .
- ⁶³ سورة الحديد: الآية 25 .
- ⁶⁴ سورة آل عمران: الآية 104 .
- ⁶⁵ سورة النحل: الآية 91 .
- ⁶⁶ سورة النساء : الآية 94 .
- ⁶⁷ سنن أبي داود : كتاب الأدب.
- ⁶⁸ سورة العنكبوت: الآية 45 .